

تفسير ابن كثير

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبرا لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى : { أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن } أي ليس لكم من دونه من ولي ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى : { إن الكافرون إلا في غرور } ثم قال تعالى : { أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه } أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله وحده لا شريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى : { بل لجوا } أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم { في عتو ونفور } أي في معاندة واستكبار ونفور على إديارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ثم قال تعالى : { أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ! أمن يمشي سويا على صراط مستقيم } وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبا على وجهه أي يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه أي لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهدى { أمن يمشي سويا } أي منتصب القامة { على صراط مستقيم } أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفحاء وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم .

{ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم } { الآيات أزواجهم : أشباههم قال الإمام أحمد C : حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نافع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : [أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق وقوله تعالى : { قل هو الذي أنشأكم } أي ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا { وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة } أي العقول والإدراك { قليلا ما تشكرون } أي قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجه { قل هو الذي ذرأكم في الأرض } أي بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلالكم وأشكالكم وصوركم { وإليه تحشرون } أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه { ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } أي متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق { قل إنما العلم عند الله } أي

لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله D لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه { وإنما أنا نذير مبين } أي وإنما علي البلاغ وقد أدبته إليكم .

قال تعالى : { فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا } أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساء لهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب { وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون * وبدأ لهم سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون } ولهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ { هذا الذي كنتم به تدعون } أي تستعجلون